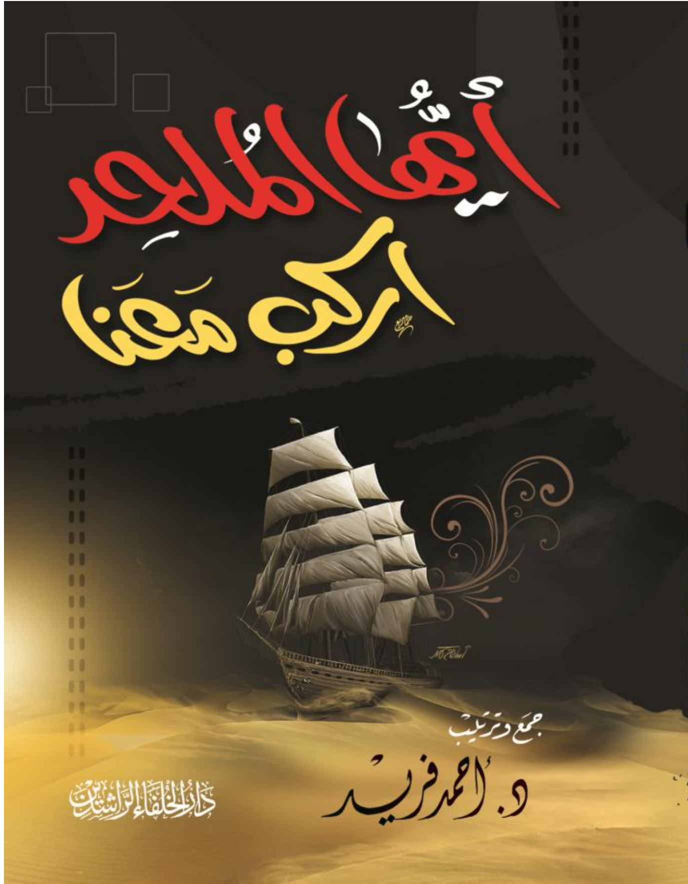
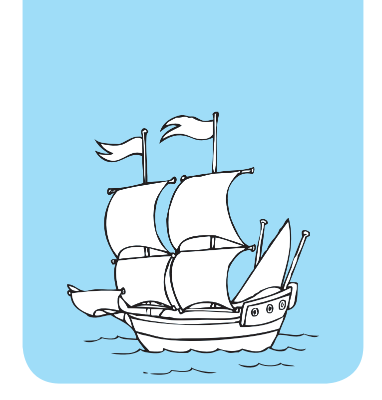

أيها الملحد
اركب معنا
جمع وترتيب
د. أحمد فريد
دار الخلفاء الراشدين



أيها الملحد
اركب معنا

إعداد

الدكتور/ أحمد فريد



توزيع





دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي



تأليـــف	د. أحمد فريد
الطبعـــــــة	الثانية
رقم الإيداع	٢٠١٧/٩٠٤٣م
عدد الصفحات	٦٤
المقـــــاس	١٢×١٧





الإسكندرية: أبو سليمان - ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



نسأل الله تعالى حُسن الخاتمة



الحمـد لله الـذي رضي من عباده باليسـير مـن العمل، وتجـاوز لهم عن الكثير من الزلـل، وأفاض عليهم النّعمة، وكتـب على نفسـه الرحمة، وضمَّن الكتـاب الذي كتبه، أن رحمتـه سـبقت غضبه، دعا عبـاده إلى دار السـلام، فعمهم بالدعـوة حجـة منـه عليهـم وعـدلًا، وخـصَّ بالهدايـة والتوفيق من شـاء نعمة ومنَّة وفضلًا فهذا عدله وحكمته، وهو الحكيم الخبير، وذلك فضله يؤتيه من يشـاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، شـهادة عبـده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن



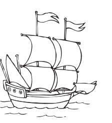
فضلـه ورحمتـه، ولا مطمح له في الفـوز بالجنة والنجاة من النار، إلا بعفوه ومغفرته.

وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسـوله وصفيـه وخليلـه، أرسـله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجَّة للسالكين، وحجـة عـلى العباد أجمعـين، وقد ترك أمته عـلى الواضحة الغراء والمحجة البيضاء، وسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنـات النعيم، وعـدل الراغبون عـن هديه إلى صراط الجحيـم، ليهلـك من هلك عـن بينة ويحيي مـن حيي عن بينـة، وإن الله لسـميع عليـم، فصـلى الله وملائكتـه وجميع عبـاده المؤمنـين عليـه كما وحـد الله عَزَّوَجَلَّ وعرفنـا به ودعا إليه، وسلم تسليمًا.

ثم أما بعد؛

فهذه مقدمة رسـالتي «أيها الملحد اركب معنا» أرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن تكـون طـوق نجاة، وسـفينة نوح لمن غرق في الإلحاد أو كاد، أو كان فريسـة لمواقع إلحادية مشـبوهة، أو



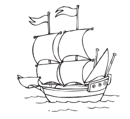


كتب موتورة ليس فيها خير، إنما هي سُمٌّ ناقع وُضِعَ في غلافٍ لامعٍ، فأغتر به بعض أبنائنا أو بناتنا، ظنوا أنه دواء نافع لما يعيشه كثير ممن حرم من أسرة صالحة متدينة، أو ابتُلي بأصدقاء سوء، زينوا له الباطل، وظنه حقًّا، وزخرفوا له الكفر فظنه مدنية لا همجية، أسأل الله تعالى أن يهديني وإياهم سواء السبيل، وأن يمن علينا جميعًا بأسباب الهداية والرشاد من أدران الإلحاد.

أحذر الشباب والفتيات من هذا المستنقع الخبيث مستنقع الإلحاد، وأقول لهم: احذروا من العلمانية والليبرالية فإنها قنوات عفنة تصب في هذا المستنقع الآسن الآثم، مستنقع الإلحاد.

فالعلمانية هي اللا دينية، أو الحياة بعيدًا عن الدين، والليبرالية أضل سبيلًا فهي الكفر بالدين والقيم والأخلاق، وهي عبادة الهوى، فهذه المذاهب الباطلة





والأفكار المنحرفة تصل بمن سلك سبيلها في نهاية المطاف إلى الإلحاد، وهو إنكار وجود الله عَزَّوَجَلَّ، واعتقاد أن الكون وُجِدَ صدفة بلا موجد أو أنه أوجد نفسه، فهو الخالق والمخلوق ولو قلت للملحد: البيت الذي تسكنه لم يبنه أحد، وإنما وُجِدَ صدفة، أو أوجد نفسه، لاعتبر من قال له ذلك مجنونًا؛ لأن هذا الكلام لا يقوله عاقل، فكيف راج عليه أن الأرض بما فيها من فجاج، والبحار بما فيها من أمواج، والسماء بما فيها من سحاب وأبراج، وُجِدَ صدفة، أو هي التي خلقت نفسها.

إن راجت هذه البضاعة الكاسدة الفاسدة في بلاد الكفر؛ لأنهم ليسوا على شيء، فما صدقت اليهود في شيء إلا في قولها: ﴿لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [البقرة:١١٣]، وما صدق النَّصارى في شيء إلا في قولهم: ﴿لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [البقرة:١١٣]، فإن راجت فيهم هذه التجارة البائرة فكيف تروج في بلاد المسلمين الذين أتم

الله عَزَّوَجَلَّ عليهم النعمة بكمال التشريع على قلب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل عليه بعرفة يوم عرفة في حجة الوداع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

أخاطب بهذه الرسالة «أيها الملحد اركب معنا» الفطرة السليمة التي خلقها الله عَزَّوَجَلَّ مقرة بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وتظهر هذه الفطرة عند الشدائد، فإذا تعرض العبد لشيءٍ خارج عن طاقته وعن الأسباب الأرضية فإنه يجد في ذاته ما يدفعه إلى دعاء الله عَزَّوَجَلَّ وانتظار الخير منه كما أن المشركون يدعون الله عَزَّوَجَلَّ مخلصين له الدين إذا ركبوا في الفلك، وأتت ريح عاصفة أوشكوا بها على الهلاك، وأخاطب بهذه الرسالة أيضًا «أيها الملحد اركب معنا» عقول الشباب والفتيات، فإن الإلحاد هو فساد الفطرة والعقول؛ لأن العدم لا يفعل شيئًا وأذكر هذه الآيات الكريمات التي تنسف بنيان الإلحاد، وتقلعه من جذوره، وهي قوله



تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور].

وأخاطب بهذه الرسالة «أيها الملحد اركب معنا» حِسَّ القارئ، فأقول له بالتأكيد قد وقعت في وقت من أوقات عمرك في شدة ودعوت الله عَزَّوَجَلَّ، واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ لك، ألا يدل ذلك على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وعلى رحمته وكرمه؟

وقد قدمت بين يدي أدلة وجود الله عَزَّوَجَلَّ مقدمتين:

الأولى: في بيان نعمة الإيمان أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يحرمنا من هذه النعمة، التي تؤهل العبد لحياة طيبة في الدنيا، وسعادة أبدية سرمدية في الآخرة، وأقول لمن يريد أن يسلك طريق الإلحاد فكر ألف مرة قبل أن تسلك هذا الطريق؛ لأنك تحكم على نفسك بالإعدام، ويا ليت هذا الحكم يحرمك من الحياة الدنيا وحدها، ولكنه إعدام وحرمان من سعادة الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من الخزي والندامة.



والمقدمة الثانية: في بيان الإيمان بالغيب؛ لأن أساس الإلحاد وعموده هو الكفر بالغيب، مع أنه يؤمن بالكثير من الغيب، ولو أعلن كفره بكل الغيب، لأضحك عليه العقلاء؛ لأنه يؤمن بالجاذبية الأرضية وهي لا تقع تحت الحواس، ويؤمن بوجود مئات من البلاد ولم يرها، ويؤمن بوجود الجراثيم والفيروسات، ولم تقع تحت حواسه، فلماذا يؤمن ببعض الغيب ويكفر بالبعض الآخر، مع أن ما دعاه للإيمان به موجود في غيره من الغيب من الآثار، وتواتر الأخبار.

وقد ختمت هذه الرسالة المباركة «أيها الملحد اركب معنا» بالرد على الشبهتين الرئيسيتين؛ وهما: القول بأن الكون خلق صدفة، أو خلقته الطبيعة.

كما أهيب بالشباب المسلم والفتيات المسلمات تعلم العقيدة الإسلامية؛ فالعلم النافع يحرس المؤمن من الوقوع في الشبهات والشهوات.



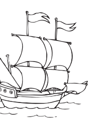




١ نعمة الإيمان

الإيمان نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، تمنن بها على عباده المؤمنين فقال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات:١٧].

كما تمنن الله عَزَّوَجَلَّ على المؤمنين بأنه عَزَّوَجَلَّ حبب إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات:٧]، فحبُّ المؤمن للإيمان، وأسباب الإيمان، وأهل الإيمان، نعمة من الكريم المنان، نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمه، وأن يرزقنا شكر هذه النعم، فالشكر قيد النعم، ومستوجب المزيد، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].



فمن حرم من هذه النعمة العظيمة، فلا يلومن إلا نفسه؛ لأنه بذلك يُحرم من الحياة الطيبة في الدنيا، والسعادة الأبدية السرمدية فإن السعادة في الدنيا والآخرة وقف على أهل الإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

والإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحة والانتفاع بها في الآخرة، ونعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا أكثر من أن تُحصر، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨]، فالعباد عاجزون عن إحصاء نعم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم فضلًا عن شكر هذه النعم، وكما أشرت آنفًا فإن نعمة الإيمان هي أعظم هذه النعم؛ لأنه بالإيمان يعيش العبد حياة طيبة في الدنيا ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وبالإيمان أيضًا يسعد العبد في جنة الله عَزَّوَجَلَّ سعادة أبدية سرمدية، وقد حكى لنا العُبَّاد والزُّهَّاد عن حياتهم الطيبة بالإيمان في الدنيا، فقال بعضهم: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من نعمة، لجالدونا عليها بالسيوف»، وقال بعضهم: «والله إنه لتمر بي أوقات يرقص فيها القلب طربًا»، وقال بعضهم: «والله إنه لتَمُرُّ بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة كما نحن فيه، والله إنهم لفي عَيْشٍ طيب».

وقال شيخ الإسلام: «إن في الدُّنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة».

أقول لكل مُلحد: هل وجدت سعادة؟ هل اطمأن قلبك بالكفر؟ أم وجدت الشقاء والضنك الذي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه، فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].




أقول لكل ملحد حائر بائر: لئن أخبر أئمة الإسلام عن السعادة التي وجدوها في قلوبهم مع الإيمان والعمل الصالح، فقد أخبر كذلك أئمة الإلحاد والفكر الوجودي عما وجدوه من ضنك وشقاء وإن كنتَ لا تعلم ما قالوه لأنك حديث عهد بالإلحاد فسوف أسوق لك شيئًا من ذلك.

✍ يقول كامي: «ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر، إن صيحته هي: الموت للعالم، حطموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء الإلقاء والإطاحة هو إنجيلي».

✍ يقول يونسكو الفرنسي: «الواقع كابوس مؤلم لا يطاق».

✍ ويقول سارتر: «الإنسان في صميمه قلق».

✍ وأما كيركجارد فيقول: «إن الوجود معناه أن تعاني اليأس والقلق حتمًا، إن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية، ولذا نجده حاول الانتحار مرارًا»(١).

وإنما تعرف أقدار النعم عند فقدها، فمهما كان العبد صحيحًا سليمًا لا يستشعر نعمة الصحة، وإذا ابتلي بمرض

(١) نقلًا عن «طريق السعادة» للمصنف.



فمكث في بيته طريح الفراش يتألم أسبوعين أو ثلاثة يستشعر نعمة الصحة، ويغبط الأصحاء.

وإذا لم يُبتلى العبد بالسجن لا يعرف قدر الحرية -نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة-، فهل إذا فقد نعمة الحياة التي هي فرصة الإيمان والعمل الصالح، إذا فقد هذه النعمة يستشعر قيمتها أو يتمنى أن يعود إلى الدنيا حتى يراجع حساباته، ويكون من أهل الإيمان والعمل الصالح.

ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بنا أن سجل لنا مشاهد وأقوال وأحوال المفرطين والملحدين عند مفارقة الحياة، وعند العرض على النار، وعند الوقوف أمام الملك الجبار، وما يتمناه المفرط ويطلبه ويأسف على فواته، وهو يصرخ بين طبقات النيران، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام:٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ



رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:١٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر:٣٧].

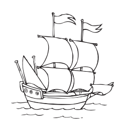
فهي أمنية واحدة يرددها المفرط، والملحد، والحائر، والبائر، والخاسر، يريد أن يرجع إلى الدنيا، ليس من أجل زوجته الجميلة التي كان يحبها، ولا من أجل المنصب الكبير الذي كان يشغله، ولا من أجل المال الذي أنفق زهرة عمره فيه، وضيع فيه أوقاته، بل من أجل الإيمان والعمل الصالح، والإيمان جزم ويقين لا يقبل الشك، فالذي يشك في وجود الله عَزَّوَجَلَّ أو صدق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو القيامة أو الجنة والنار، ويريد أن يتأكد حتى يؤمن بعد ذلك إيمانًا جازمًا ولا يكون هذا إلا بعد الموت أو العرض على النار، أو على الملك الجبار، أقول له وأنا مشفق عليه محبٌّ للخير له: أقسم بالله العظيم سوف تتأكد تمامًا، وتؤمن إيمانًا جازمًا، ولكن في وقت لا يمكنك





فيه الرجوع إلى الدنيا من أجل الإيمان والعمل الصالح، كما لا يمكنك كذلك أن تفدي نفسك من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ ولو كنت تملك ملء الأرض ذهبًا ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥] لا من المنافقين ولا من الكافرين والملحدين.

فقيمة الإيمان أنه إيمان بالغيب، ولذلك ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أول وصف للمتقين أنه الإيمان بالغيب؛ لأن الإيمان كله إيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:]، فالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ إيمان بالغيب، والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب، وهكذا سائر أمور الإيمان الستة، فمن ينتظر حتى يكون الغيب شهادة في غاية الغباء؛ لأن الغيب إذا صار شهادة آمن الناس كلهم، فلا مزية لبعضهم على بعض، وإذا كان ظهور علامة من علامات القيامة



وهـي كما قال العلماء طلوع الشـمس من مغربها، ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾، ويغلـق عند ذلك بـاب التوبة فكيف ينفع إيـمان من عاين مشـاهد القيامة أو عُـرِض على النار، نسـأل الله النجاة من غضب الجبار.

فأقـول لـكل من فقـد نعمة الإيـمان، أو على وشـك أن يفقدهـا، قـف ألف مـرة قبـل أن تُقِرَّ عـلى نفسـك بالكفر، وتقـول: إنـك ملحـد؛ لأنـك بذلـك تحكـم عـلى نفسـك بالإعـدام، فتُحرم مـن الحياة الطيبـة في الدنيا والسـعادة في الآخرة، والأمر والله العظيم جدٌّ لا هزل فيه، قد يخسر العبد في صفقة تجارية يمكن أن يعوضها بعد ذلك، أو يرسـب في سـنة دراسية يمكنه أن ينجح في سنة مقبلة، ولكن من خسر نفسـه من مات وهو فاقد لنعمة الإيمان، فكيف يعود، كيف يعـوض، وكيف يرجـع إلى الدنيا ليترك صفـوف الكافرين والملحدين، وينضم إلى صفوف المؤمنين الموحدين.




وأختم هذا الفصل بذكر جملة من ثمرات

الإيمان:

- فمن ثمرات الإيمان: الأمن والاطمئنان:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

- ومن ثمرات الإيمان: معية الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١٩].

- ومن ثمرات الإيمان: البُشرى فأهل الإيمان مبشرون بكل خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس].

- ومن ثمرات الإيمان: دفاع الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

- ومن ثمرات الإيمان: محبة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبة المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].



ومن ثمرات الإيمان: الحياة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧].

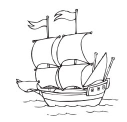
ومن ثمرات الإيمان: أنهم يغتبطون بولاية الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

ومن ثمرات الإيمان: أن الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ المؤمن من المعصية التي توجب له دخول النار، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ... ﴾ [الأنفال:٢٤] قالوا: يحول بينه وبين المعصية التي توجب له دخول النار.

ومن ثمرات الإيمان: أن أمر المؤمن كله له خير، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَجبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) الزهد، وأحمد (٦/ ١٦)، والدارمي (٢/ ٣١٨) الرقاق.



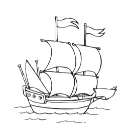
ومن ثمرات الإيمان: العزة التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

ومن ثمرات الإيمان: الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

ومن ذلك: استغفار الملائكة من حملة العرش، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر:٧].

وأعظم ثمرة للإيمان هي: دخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].







٢ الإيمـان بالغيـب

الكون ينقسم إلى: غَيبٍ، وشهادة.

فالغيـب ما غاب من الموجـودات عن أعين الناظرين، وإن كانـت حقيقته مُحصَّلـة في صدورهـم، ولا تغيب عن خواطرهم، وذلك كل الموجودات الأرضية والسماوية.

والشـهادة بخـلاف الغيـب، وهـي كل مـا كان مـن الموجـودات أمـام نظر الإنسـان، يشـاهده ويـراه، أو كان بحيث يدركه بإحدى حواسـه التي هي: السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق.

والإنسان بحكم طبيعة الحياة مُقدّر له الإيمان بالغيب، مفروض عليه، لا يسـتطيع التخلـص منه بحال، اللهم إلا من سَـفِهَ نفسـه، وأراد التخـلي عن كرامتـه الآدمية، وعن شرفه الإنسـاني، وذلـك لأن الإنسـان كائن متحيـز، متى

وُجـد في مكان اسـتحال عليه أن يوجـد في مكان آخر، مع بقائـه في مكانـه الذي هـو فيه، ومن هنا سـتصبح الأماكن التـي تخلـو منه ببعده عنها غيبًا له، وليسـت شـهادة عنده، ولابـد له من أن يؤمن بها وبما فيها من أشـياء متى وُجدت آثار تدل على ذلك، أو أخبار صادقة تُنبئ به، ثم إن حواس الإنسـان التي يحصـل له العلم بها محـدودة القوة، محصورة الإدراك في مجـال معين لا تتعداه، فسـمعه مقيد في السـماع بالأصـوات العالية، فإذا انخفضـت إلى درجة معينة تعذر عليه أن يسـمع، وبصره مقيد برؤية الأجسام الكبيرة، فإذا صغرت ودقَّت وبلغت حدًا معينًا من الصِغَر والدقة عجز عـن رؤيتها، ولمسـه كذلـك فإنه يحس بالأجسـام الكثيفة، فإذا خفت انقطع إحساسه بها.

ومن هنـا كان لابد للإنسـان مـن الإيـمان والتصديق بأشياء لم يشهدها ولم يحس بها، بأي حاسة من حواسه.

وكيف ننكر هذه الحقيقة ونحن نؤمن بعشرات البلاد ولم نرها، كما ترى إنسانًا لم ير الفيل طول حياته، وهو يؤمن بوجود هذا الحيوان الذي لم يره، وآخر يؤمن بالجاذبية إيمانًا جازمًا، ومن المعلوم أن الجاذبية مما لا يرى ولا يشاهد أبدًا.

ولذا كان من المضحكات أن يَدَّعي إنسان أنه لا يؤمن بالغيب، أو أنه يستطيع أن يعيش في هذه الحياة بدون الإيمان بالغيب(١).

فالذين ينكرون وجود الله عَزَّوَجَلَّ بحجة أنهم لا يرونه، ولا يستشعرونه بحواسهم، نقول لهم: أنتم تؤمنون بمئات البلاد والأماكن التي لم تقع تحت حواسكم، وإنما دعاكم للإيمان بوجودها تواتر الأخبار، ونقل الكافة، فأنتم تؤمنون بوجود أمريكا وفرنسا وروسيا، وغيرها من البلاد

---

(١) «عقيدة المؤمن» (١٥٢، ١٥٣) بتصرف للشيخ أبي بكر الجزائري.





والأماكـن مـع أنها لم تقـع تحـت حواسـكم؛ لأن الأخبار تواترت بوجودها.

وأنتم أيضًـا تؤمنون بالجاذبية الأرضيـة، وبالكهرباء، وبـآلاف الكائنـات الدقيقـة التـي تنتـشر في الهـواء أمـام أعينكـم، ولكنكم لا ترونها، لا لأنها غـير موجودة ولكن حاسة البصر تحتاج إلى أن تكون الأشياء بحجم معين حتى تقع عليها حاسـة البصر، والجاذبية الأرضية لم نرها ولكن نؤمـن بها لأننا إذا وضعنا شـيئًا في الهـواء لا يرتفع إلى أعلى أو يمينًا أو شِـمالًا، وإنـما يقع على الأرض لوجود الجاذبية، والكهرباء لا نراهـا، ولكن نرى آثارها وما يدل عليها من الإضاءة أو التدفئة أو غير ذلك.

فـإذا أتينـا إلى الإيمان بـالله عَزَّوَجَلَّ: ألم يخـبر الثقات من الرسـل والكافَّـة عـن الكافَّة عن وجـود الله عَزَّوَجَلَّ، وفوق ذلك عن عظمته وفوقيته وسمعه وبصره؟ ألا تدل الآيات



المتلـوة في القـرآن بإعجازها وإيجازها عـلى الله عَزَّوَجَلَّ؟ ألا تـدل المخلوقـات الكثـيرة في الكون على وجـود الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته؟

وَفي كُــلِّ شَـــيْءٍ لَــهُ آيَــةٌ

تَـــدُلُّ عَـلَـى أَنَّــهُ الْـوَاحِـدُ

فإنـكار وجـود الله عَزَّوَجَلَّ يسـتغربه صاحـب الفطـرة السـليمة: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

وَلَـيْـسَ يَصِحُّ في الأَذْهَــانِ شَيْءٌ

إِذَا احْـتَـاجَ الـنَّـهَارُ إِلَـى دَلِيلٍ





٣ أدلة وجود الله عَزَّوَجَلَّ

الكـون كله صامتـه وناطقـه، ومتحركه وسـاكنه مقرٌّ ومصـدق ومعـترف ومؤمـن وناطـق بوجـود الله تعـالى، إلا زنادقـة الأمـم وملاحـدة الشـعوب، قـال جَلَّوَعَلَا: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠]، قال ابن القيم: وسـمعت شـيخ الإسلام ابن تيميـة يقول: كيف يُطلب الدَّليل على من هو دليل على كل شيءٍ، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَـانِ شَيْءٌ

إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَـى دَلِيلٍ(١)

وقـد دل على وجود الله عَزَّوَجَلَّ الفطرة، والعقل والحس والشرع.

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة» (١٧ – ١٨) ط. مكتبة فياض.



(أ) دلالة الفطرة

لم يُطل القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى؛ لأن القرآن يقرر أن الفطر السليمة، والنفوس التي لم تتقذر بأقذار الشرك تقر بوجوده من غير دليل، وليس كذلك فقط، بل إن توحيده أمر فطري بدهي ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم:٣٠]، وفي صحيحي «البخاري» و«مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١) ولم يقل يسلمانه؛ لأن الإسلام موافق للفطرة.

وشياطين الجن يقومون بدور كبير في إفساد الفطرة وتدنيها، وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب ذات يوم فكان مما جاء في

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).



خطبته: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[1].

وكثيرًا ما تنكشف الحُجُب عن الفطرة فتزول عنها الغشاوة التي رانت عليها، عندما تصاب بمصاب أليم أو تقع في مأزق، لا تجد فيه من البشر عونًا، وتفقد أسباب النجاة، فكم من ملحد عرف ربه وآب إليه عندما أُحيط به، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضرٍّ نزل به ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).



وقد سمعنا كيف آب ركاب طائرة ما إلى رَبِّهم عندما أصاب طائرتهم خلل، فأخذت تهتز، وتميل وتتأرجح في الفضاء، والطيار لا يملك من أمره شيئًا فضلًا عن الركاب، هناك اختفى الإلحاد، وضجت الألسنة بالدعاء، ورغبت القلوب إلى ربها بصدق وإخلاص، ولم يبق للشرك والإلحاد وجود في هذا الموقف الرهيب[(١)].

قلت: وقصة عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهورة، لما فتح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، وأهدر دم عكرمة، فرَّ عكرمة وركب البحر، ثم أتت ريح عاصفة كادت تغرق السفينة، فقال من معه: إنه لا يُنجيكم إلا أن تدعو الله عَزَّ وَجَلَّ وحده مخلصين، فقال عكرمة: إذا كان لا ينجي في البحر غيره فإنه لا ينجي في البرِّ غيره، وعاهد الله عَزَّ وَجَلَّ لئن أنجاه الله عَزَّ وَجَلَّ من هذه، ليعودن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيضع يده في يده فيجده عفوًّا رحيمًا.

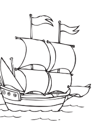
---

(١) باختصار من «مجموعة الأشقر في العقيدة» (٧٧-٨٠) ط. دار النفائس «العقيدة في الله».

فأنجاه الله عَزَّوَجَلَّ لما يريده له من السعادة والشهادة، فأسلم وحسن إسلامه، وفي معركة اليرموك تحت إمرة خالد بن الوليد، طلب منه خالد بن الوليد أن يبدأ القتال، فقال: من يبايع على الموت، فبايعه أربعمائة من وجوه الناس، ونال الشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

فكل من ينكر وجود الله عَزَّوَجَلَّ مخالفًا لفطرته، في وقت الشدة يُقر بوجوده ويدعوه مخلصًا له، والله عَزَّوَجَلَّ ببركة هذا الإخلاص اللحظي ينجيه، وهو يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه سيعود إلى الشرك غالبًا إذا أنجاه الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحصين -وكان مشركًا-: «**كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟**»، قَالَ سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

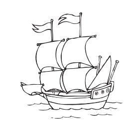
وقد كان مشركي مكة يقرون بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق، مع أنهم كانوا يوجهون العبادات إلى الأصنام ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩]، وهذه الأصنام كانوا يعتقدون أنهم



يشفعون لهم، ويقربوهم إلى الله زلفى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقيل: هذه الفطرة التي تُقِرّ بالتوحيد هي الأثر من أخذ الميثاق الذي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف:١٧٢] آية الميثاق.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يُعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أن يكون مكابرًا عنيدًا غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]، لكن ذلك ليس عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤]، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا



رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢]»[1].

وقال الزنداني حفظه الله: «للإنسان إحساس فطري عميق بأن له خالقًا يلجأ إليه عند إحساسه بالخطر والشدائد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان:٣٢]، فالفطرة تحمل المخلوقين على الاتجاه إلى خالقهم، والاستغاثة به عند إحداق المخاطر بهم، وانقطاع كل الأسباب.

فالإيمان بالله فطري في النفوس السليمة، مستقر في الأذهان الصافية، ويكاد يكون من بديهيات المعلومات؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]»[2].

---

(١) «الرسائل في العقيدة» (١٤) باختصار.

(٢) «علم الإيمان» (٦٥) لعبد المجيد الزنداني، ط. دار الإيمان.

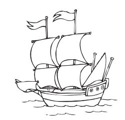
(ب) دلالة العقل

أما دلالة العقل على وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من موجد أوجدها، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي: من غير رب؛ لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم.

ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم، فَوُجِدُوا بلا خالق، وذلك لا يجوز في العقل، فإن أنكروا الخالق لم يجز لهم أن يُوجَدُوا.

وقوله: ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ وذلك في البطلان أشد؛ لأن من لا وجود له كيف يخلق؟ ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾، وذلك في البطلان أشد وأشد، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد نفسه، فضلًا عن أن يكون موجدًا لغيره.




وقد سُئِلَ أعرابي: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

فأدل دليل على وجود الخالق جَلَّ وَعَلَا وجود المخلوق؛

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٣١].

وكثيرًا ما يرشد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة؛ قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١].

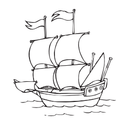
قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني -والله أعلم- من الآيات الواضحات، والدلالات النيرات، وهذا لأنك إذا تأملت هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر معدة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالملك للبيت المخول له ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا تام القدرة بالغ الحكم»[(١)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلِيء بالفُرُشِ والأَسِرَّةِ، وزُين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر بما فيه من كمال قد

---

(١) «الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة» (٧).





أوجد نفسه، أو وجد هكذا مصادفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه وعددت حديثه سفهًا من القول.

أفيجوز بعد ذلك كله أن يكون هذا الكون الواسع، بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وُجِدَ مصادفة بدون مُوجِد؟!»[1].

وقد استدل أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأدلة الكون في الآفاق والأنفس لمن حاوره من الزنادقة عندما سألوه عن وجود الله عَزَّوَجَلَّ فقال: دعوني فإني مُفَكِّرٌ في أمر قد أُخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة، فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء، وتيسر بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها، من غير أن يسوقها أحدٌ.

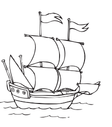
فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقل.

فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟!

---

(١) «رسائل في العقيدة» (١٢).





فبهت القوم ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

ويُروى لأبي العتاهية:

فَيَا عَجبًا كَيْفَ يَعْصِي الإِلَهُ
أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ
وفي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ(١)

قال ابن أبي العز الحنفي: «ومن المشهور عند أهل النظر إثباته -أي: وحدانية الرب عَزَّوَجَلَّ- بدليل التمانع، وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياؤه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم

(١) «علم الإيمان» للشيخ عبد المجيد الزنداني (٦١، ٦٢) ط. دار الإيمان.

منه خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهًا وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للألوهية، وكثير من أهل النَّظر يزعمون أن دليل التَّمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]»[1].

ومن الأدلة العقلية كذلك ما قدره الله تعالى بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون:٩١].

قال شارح الطحاوية: فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقًا فاعلًا، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضرَّ، فلو كان معه -سبحانه- إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل فلا يرضى تلك الشركة بل إن قَدَرَ على قهر ذلك الشريك، وتفرد بالملك والألوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٤).



انفـرد بخلقه وذهـب بذلك الخلق، كما ينفـرد ملوك الدنيا بعضهم عـن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلابد من أحد ثلاثة أمور:

- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.
- وإما أن يعلو بعضهم على بعض.
- وإمـا أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشـاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكـون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره دليل على أن مدبره إله واحـدٌ، وملك واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سـواه، كما قد دل دليل التَّمانع على أن خالق العالم واحد لا رب غـيره ولا إله سـواه، فذلك تمانـع في الفعل والإيجاد، وهـذا تمانـع في العبـادة والإلهيـة، فكما يسـتحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لها إلهان معبودان»[1].

---

(١) «شرح الطحاوية» (١٨، ١٩).





وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه سئل عن وجود الخالق عَزَّوَجَلَّ فقال: هذا ورق التوت طعمه واحدٌ، تأكله الدود فيخرج منه الإبرسيم[1]، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد».

وعن الإمام أحمد أنه سُئِلَ عن ذلك فقال: «ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهر كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز فبينما هو كذلك، إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح» اهـ. يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الأَرْضِ وَانْظُرْ

إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ

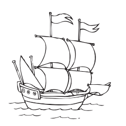
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ

بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ

---

(١) أي: الحرير.





عَلَى قَصَبٍ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ

بِـأَنَّ اللّهَ لَـيْـسَ لَـهُ شَرِيكُ[1]

يقـول الزنـدانـي -حفظـه الله-: «إن العـدم لا يفعل شيئًا، وهذا أمر متفق عليه بين الناس جميعًا، ولا يخالفه إلَّا مكابرٌ جاحدٌ، فلا يمكن لأي عاقل أن يصدق أن الساعة التـي بيـدك أو أن تلـك الطائـرة أو المسـطرة قـد أوجدها العدم، وأنه لا صانع لها.

وهذه القاعدة مشتركة بين جميـع العقلاء، وما نوقش أحد من الملحدين ومن الباحثين والعلماء الكونيين من غير المسلمين حول هذه القاعدة، إلّا سَلَّمَ لها، بل لو ضرب طفـل على حين غرة، فسـأل عن الذي ضربـه فقيل له: إن العـدم فعـل ذلك لما صَدَّقَ، فهـذه القاعـدة يُجْمِـعُ عليها العقلاء، حتى الأطفال، وشـاهدها في القـرآن قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].

---

(١) «معارج القبول» (١/ ٦٩، ٧٠).



فلابد لكل فعل من فاعل.

ولابد لكل مصنوع من صانع.

ولابد لكل مخلوق من خالق»(١).

(جـ) دلالة الحس

١- إجابة الدعاء:

وأنا أخاطب في هذا الفصل كل قارئ مهما كان قربه أو بعده عن الله عَزَّوَجَلَّ، ألم تلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولو مرة واحدة في عمرك وتدعو الله عَزَّوَجَلَّ، واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ لك، فقد قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل:٦٢]، ولو كان المضطر كافرًا الله عَزَّوَجَلَّ يجيبه، كما أن دعوة المظلوم يقبلها الله عَزَّوَجَلَّ لعظم الظلم ولو كان المظلوم كافرًا، لا شك في أن كل مسلم لجأ في فترات حاجةٍ واضطرار إلى الله عَزَّوَجَلَّ واستجاب الله عَزَّوَجَلَّ له، أليس ذلك

(١) «علم الإيمان» (٦٧).

دليل على وجود الله عَزَّوَجَلَّ وكرمه ورحمته بعباده، وحكى الله عَزَّوَجَلَّ لنا في كتابه الخالد دعوات الأنبياء التي سمعها الله عَزَّوَجَلَّ وأجابها، وحكت لنا سُنَّةُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك دعوات استجاب الله عَزَّوَجَلَّ لها.

فمن الدعوات القرآنية دعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر].

ودعوة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

ودعوة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ ﴾ [الأنبياء].

ودعوة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا فَثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَلَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، وَفِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ قَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ -أَوْ غَيْرُهُ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**» فَمَا يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلَّا انْفَرَجَتْ»[(١)].

ولم تكن إجابة الدعاء قاصرة على الأنبياء وحدهم؛ ففي قصة أصحاب الأخدود في «صحيح مسلم» من حديث صهيب أن الملك الكافر لما أراد قتل الغلام دفعه

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨)، ومسلم (٦/ ١٩١ - ١٩٣)، والنسائي (٣/ ١٥٤، ١٥٥) باختصار.



إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به وصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شِئْتَ، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟! قال: كفانيهم الله عَزَّوَجَلَّ، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله عَزَّوَجَلَّ (١).

فإجابة الدعاء دليل على وجود الله عَزَّوَجَلَّ وقدرته، وكمال سمعه وبصره، وغناه، ورحمته، وقد عاب الله عَزَّوَجَلَّ الآلهة الباطلة؛ فقال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٣٠-١٣٣).






وكرامات الأولياء دعوة مستجابة، يُرْوَى أن الحسن البصري قال لرجل: إن كنتَ كاذبًا فعجل الله حتفك، فمات الرجل مكانه.

ويُروى أن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دعا على امرأة كذبت عليه أن تعمى وتموت في أرضها فعميت، ووقعت في حفرة في أرضها فماتت.

وسمية أم عمار بن ياسر، ذهب بصرها من تعذيب المشركين لها، فقالوا: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت: كلا والله، ودعت الله فرد الله عليها بصرها..

وحج سفيان بن عيينة سبعين حجة، وفي كل حجة يقول بمزدلفة اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، ثم استحى من الله عَزَّوَجَلَّ من كثرة دعائه وإجابة الله عَزَّوَجَلَّ له في السنة الأخيرة من عمره، فترك الدعاء بذلك، فتُوفي من عامه ولم يدخل عليه موسم حج آخر.

فإجابة دعاء الداعين تدل على وجود الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته وكمال غناه وسمعه وبصره، قال ابن عقيل: «وقد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:



أحدها: الوجود؛ فإنه من ليس بموجود لا يُدعى.

الثاني: الغِنى؛ فإن الفقير لا يُدعى.

الثالث: السمع؛ فإن الأصم لا يُدعى.

الرابع: الكرم؛ فإن البخيل لا يُدعى.

الخامس: الرحمة؛ فإن القاسي لا يُدعى.

السادس: القدرة؛ فإن العاجز لا يُدعى»[١].

٢- السعادة بالطاعة والشقاء بالمعصية:

من دلالة الحس كذلك على وجود الله عَزَّوَجَلَّ أن تستشعر السعادة في الطاعة لله عَزَّوَجَلَّ والشقاء في المعصية؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إن للطاعة نورًا في الوجه، وضياءً في القلب، وسعة في الرزق، ومودة في قلوب الخلق،

(١) «تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي» خالد فوزي (٣٥٧، ٣٥٨) ط. دار التربية والتراث - مكة المكرمة.







وإن للمعصية ظلمة في الوجه، وسوادًا في القلب وضيقًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

وكل واحد منا قد جرب الطاعة، وجرب المعصية، ليس منا أحد كل أعماله طاعات، وكذلك ليس فينا أحدٌ كل أعماله معاص، فأقول للقارئ الكريم أين وجدت قلبك؟ هل وجدته عند الطاعة أو المعصية؟ هل وُفِّقْتَ للعمرة أو الحج أو الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، أو جلست في دروس العلم -رياض الجنة-؟

هل نظرتَ نظرةً محرمة إلى امرأة متبرجة أو نظرت إلى صورة عارية في الشبكة العنكبوتية؟ هل وجدت سعادة وأنت في المعصية؟ لا تغالط نفسك، ولا تخدع نفسك فتكون الظالم لها يوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

لا شك أن كل عاقل يقر بأن السعادة في الطاعة، والشقاء في المعصية، ولماذا ينفق الناس الأموال الطائلة للوصول إلى الأماكن المقدسة، ويفارقون الأهل والوطن من أجل أن يُحَصِّلُوا شيئًا من انشراح الصدر، وحلاوة الإيمان.



ونكتة المسألة أن القلوب لا تصل إلى مُنَاهَا حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، فالعبد إذا أطاع الله عَزَّوَجَلَّ قربه الله عَزَّوَجَلَّ بقدر طاعته فيأنس بالله عَزَّوَجَلَّ، ويسعد به، وإذا عصى الله عَزَّوَجَلَّ طرده الله عَزَّوَجَلَّ وأبعده بقدر معصيته، فتكون الوحشة بينه وبين الله عَزَّوَجَلَّ، وبينه وبين عباد الله الصالحين.

فالطاعة تولد القرب، والقرب يورث الأنس
والمعصية تولد البعد، والبعد يورث الوحشة

وقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ العين للإبصار، والأذن للسماع، واللسان للتحدث والذوق، وخلق القلب لمحبته عَزَّوَجَلَّ، فإذا خلا من حب الله عَزَّوَجَلَّ فهو كالعين العمياء، والأذن الصماء، والجسد الميت.

ولما خلقت القلوب لحب علام الغيوب وغفار الذنوب عَزَّوَجَلَّ، كانت سعادتها في حبه وقربه وطاعته، وكان علاجها كذلك إذا أصابها هم أو غم أو حزن في تجديد التوحيد، والتسليم للرب الحميد المجيد.



قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ عَبْدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»[(١)].

فأقول: انشراح القلب وسعادته بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وضيقه وحرجه وشقاؤه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، ألا يدل ذلك على وجود الله عَزَّوَجَلَّ؟ وأنه يملك قلوب الناس، فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣٧١٢ شاكر)، والحاكم (١/ ٥٠٩) الدعاء، وقال: «صحيح على شرط مسلم إن سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه»، والحديث صحح إسناده: أحمد شاكر، وذكره الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٩)، وصححه ابن تيمية وابن القيم.



نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على طاعته، وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- الرؤيا الصَّالحة:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَةُ الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١).

فقيل: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باقٍ والنبوة غير باقية، أو أراد به كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْهَدْيُ الصَّالِحُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ، وَالاقْتِصَادُ؛ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**» أي: هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا فيها بهم، لا أنها حقيقة النبوة؛ لأن النبوة لا تتجزأ، ولا نبوة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٢، ٢٥٦٣)، وابن ماجه (١٢٨٢، ٣٨٩٣)، وأحمد (٣/ ١٢٦/ ١٢٢٩٤).

(٢) «شرح السنة» (١٢/ ٢٠٣، ٢٠٤)، والحديث أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦١١، ٧٩١)، وصححه الألباني.




وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ**» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ**»[(١)].

أقول للقارئ الكريم: هل أنت من أهل الرؤيا الصالحة، ومن أهل المبشرات؟ وإن كانت الرؤيا الصالحة ليست محصورة في أهل الإيمان والعمل الصالح؛ فقد يرى الكافر رؤيا صادقة، كما في رؤيا الملك في قصة يوسف، ولكن قال العلماء على سبيل الندور، فإن كُنْتَ قدَ رأيت رؤيا صالحة أو رُؤيت لك فمتى رأيتها أو رؤيت لك هل وأنت في أحسن أحوالك الإيمانية، فإن الإيمان يزيد وينقص كما قال السلف، أو رأيتها وأنت مغموس في الشهوات، أو مطموس بالشبهة، فالعاقل يقول: إنه تكثر منه الرؤيا الصالحة، وهو في أحسن أحواله الإيمانية، فتكون الرؤيا الصالحة كأنها مكافأة من الله عَزَّوَجَلَّ له على اجتهاده في

(١) رواه البخاري (٦٩٩٠).



الطاعة والعبادة، وهي تدل بالأَوْلَى على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه عليم سميع بصير شكور -نسأل الله من فضله-.

٤- معجزات الأنبياء:

إن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مُرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، ويجريها الله تعالى تأييدًا لرُسُلِهِ ونصرًا لهم، مثال ذلك: آية موسى حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق طريقًا يابسًا، والماء على جانبيه كالجبال، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣].

ومثال ثان: آية عيسى حين كان يُحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم، بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:٤٩]، وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ [المائدة:١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين طلبت منه قريش آية فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر]، فهذه الآيات يجريها الله تعالى تأييدًا لرُسُلِهِ ونصرًا لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى(١).

(د) دلالة الشرع

وتشتمل على آيات قرآنية تقرر بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو رب الناس، أي: خالقهم ومالكهم وملكهم، وآيات تدعو إلى النظر والتفكر في مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، والاستدلال بها على ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته، وأيضًا الشرائع التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ على رسله الكرام تشمل على الأحكام التي يتحقق بها سعادة العباد في الدنيا قبل الآخرة.

(١) «رسائل في العقيدة» (١٣).

فمن الآيات الدالة على أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق:

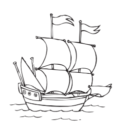
قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ومنها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩]، فيقرر لنا القرآن أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق لكل شيء.

ومن دلالة الشرع كذلك آيات قرآنية، حَثَّنَا الله عَزَّوَجَلَّ فيها على التَّفَكُّرِ في مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال الشيخ عبد المجيد الزنداني -حفظه الله-: «إن الأدلة التي يسوقها لنا القرآن الكريم لتعريفنا بربنا، أدلة مُشَاهَدَة مرئية محسوسة، فهو يحشد الكون كله أدلة على هذا الأمر، وإذن فلابد لنا أن نعرف كيف يكون الكون دليلًا على قضية الإيمان»(١).

---

(١) «علم الإيمان» (٦٧).



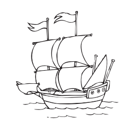
ومن دلالة الشرع كذلك على وجود الله عَزَّوَجَلَّ الشرائع التي جاء بها الرسل الكرام، وما تضمنته من مصالح العباد.

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أدلة الشرع كذلك أن ما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي يشهد الواقع على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به»[1].



---

(١) نقلًا عن: «عقيدة أهل السنة والجماعة» للمؤلف (٢٢).



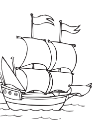
٤ شبهات وردود

(أ) القول بأن الكون خلق صدفة:

إن القـول بأن الكون خلق صدفة، ليـس قولًا بعيدًا عن الصـواب فحسـب، بل هـو قول بعيـد عن المعقـول، يدخل صاحبه في عداد المخرفين الذين فقدوا عقولهم أو كادوا، فهم يكابرون في الدليل الذي لا يجد العقل بدًّا من التسليم به.

لقـد وُجِـدَ من يقول: «لو جَلَسَـتْ سـتةٌ مـن القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السـنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسـبير، فكذلك الكون الموجـود الآن إنما وُجِدَ نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين».

يقول وحيد الدين خـان بعد نقله هذا الكلام: «إن أي كلام من هذا القبيل لغوٌ مثير بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معانٍ، فإن جميع علومنا تجهل إلى يوم الناس هذا أية مصادفة أنتجت واقعًا عظيمًا، ذا روح عجيبة في روعة الكون».



ويقول عالم آخر إنكارًا لهذه المقالة: «إن القول بأن الحياة وُجِدَتْ نتيجة حادث اتفاق، شبيه في مغزاه بأن تتوقع إعداد معجم ضخم، نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة».

يقول وحيد الدين خان: «إن الرياضيات التي تعطينا نكتة المصادفة، هي نفسها التي تنفي أي إمكان رياضي في وجود الكون الحالي بفعل قانون المصادفة»، قال: «لو تناولت عشرة دراهم، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة، ثم رميتها في جيبك، وخلطتها جيدًا، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي، بحيث تلقي كل درهم من جيبك بعد تناوله مرة أخرى، فإمكان أن تتناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الأولى هو واحد في العشرة، وإمكان أن تخرج الدراهم من (١-١٠) بالترتيب واحد في عشرة بلايين».

وعلى ذلك فكم يستغرق بناء هذا الكون، لو نشأ بالمصادفة والاتفاق؟، إن حساب ذلك بالطريقة نفسها، يجعل هذا الاحتمال خياليًّا يصعب حسابه فضلًا عن تصوره.




إن كل ما في الكون يحكي أنه إيجاد مُوجِدٍ، حكيم عليم خبير[1].

(ب) القول بأن الطبيعة هي الخالق:

ونقول لهؤلاء: ماذا تريدون بالطبيعة؟ هل تعنون بالطبيعة ذوات الأشياء؟ أم تريدون بها السنن والقوانين والضوابط التي تحكم الكون؟ أم تريدون بها قوة أخرى وراء هذا الكون أوجدته وأبدعته؟

إذا قالوا: نعني بالطبيعة الكون نفسه، فإننا لا نحتاج إلى الرد عليهم لأن فساد قولهم معلوم مما مضى، فهذا القول يصبح ترديدًا للقول السابق: إن الشيء يُوجد نفسه، أي إنهم يقولون: الكون خلق الكون؛ فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، والكون خلق الإنسان والحيوان، وقد بَيَّنَّا أن العقل الإنساني يرفض التسليم بأن الشيء يوجد نفسه، ونزيد الأمر إيضاحًا فنقول: والشيء لا يخلق شيئًا أرقى منه؛ فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم

(١) باختصار من «العقيدة في الله» للدكتور/ عمر سليمان الأشقر (٨٦ – ٨٨).



وشموس وأقمار لا تملك عقلًا ولا سمعًا ولا بصرًا، فكيف تخلق إنسانًا سميعًا عليمًا بصيرًا؟ هذا لا يكون.

والقول بأن الطبيعة هي القوانين التي تحكم الكون، وهذا تفسير الذين يدَّعون العلم والمعرفة من القائلين إن الطبيعة هي الخالق، فهم يقولون: إن هذا الكون يسير على سنن وقوانين تُسَيِّرُهُ، وتنظم أموره في كل جزئية.

وهؤلاء في واقع الأمر لا يجيبون عن السؤال المطروح:

من خَلَق الكون؟!

ولكنهم يكشفون لنا عن الكيفية التي يعمل الكون بها، هم يكشفون لنا كيف تعمل القوانين في الأشياء، ونحن نريد إجابة عن موجد الكون، وموجد القوانين التي تحكمه.

إن الطبيعة لا تُفَسِّر شيئًا من الكون، وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير، فإن وُجِدَ من يقول: إن الطبيعة قوة أوجدت الكون، وأنها قوة حية سميعة بصيرة حكيمة قادرة.. فإننا نقول لهم: هذا صواب وحق، وخطؤكم




أنكم سميتم هذه القوة (الطبيعة)؛ وقد دلتنا هذه القوة المبدعة الخالقة على الاسم الذي تستحقه وهو (الله)، الله عَرَّفَنَا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فعلينا أن نسميه بما سمى به نفسه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾.

هؤلاء الذين نسبوا الخلق إلى الطبيعة، لهم سلف قالوا قريبًا من قولهم، وهم الدهرية، الذين نسبوا الأحداث إلى الدهر، فقد شاهدوا أن الصغير يكبر، والكبير يهرم، والهَرِم يموت بمرور الزمان وتعاقب الليل والنهار، فنسبوا الحياة والموت إلى الدهر ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤]، أولئك نسبوا الأحداث إلى الزمان، وهؤلاء إلى ذوات الأشياء، فهُمَا صِنوان في الضلال[١].

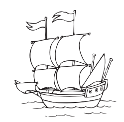


(١) السابق (٨٨-٩٣) باختصار.




الفهرس

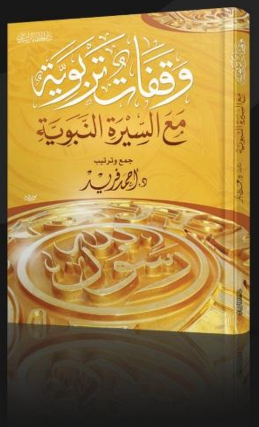


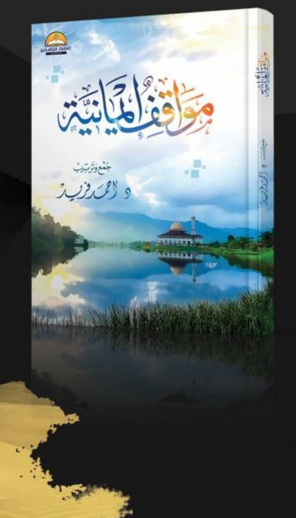


تم بحمد الله




من
إصداراتنا


وقفات تربوية
مع السيرة النبوية
جمع وترتيب
د. أحمد فريد


مواقف إيمانية
جمع وترتيب
د. أحمد فريد